

يا عمال العالم، اتحدوا!

طريق البلشفية



سؤالين

آفاق الثورة في الصين

خطاب أمام اللجنة الصينية في تنفيذية الأمانة الشيوعية

30 تشرين الثاني 1926

ترجمة

محمد علي العربي

نشر منشور البلشفية العربية

تونس، آذار 2012

المصدر المعتمد في الترجمة:

THE PROSPECTS OF THE REVOLUTION IN CHINA

Speech Delivered in the Chinese Commission of the E.C.C.I.

November 30, 1926

Stalin: Works, Vol. 8, p. 373-391.

Foreign Languages Publishing House

Moscow, 1954

أيها الرفاق،

قبل أن أمرّ إلى موضوع النقاش، أعتقد أنّ من الضروري أن أعلن أنّي لا أمتلك عن القضية الصينية المادّة الضّافية الضّروريّة لتقديم لوحة عامّة للثورة الصينية. لذا، أجد نفسي مضطراً إلى أن أقنصر على تقديم ملاحظات عامّة ذات طابع أساسيّ ولها صلة مباشرة باتجاه الثورة الصينية العامّة.

بين يدي أطروحات بتروف وأطروحات ميف وتقريراً تانغ بينغ-شان وملاحظات رافس في القضية الصينية. أعتقد أنّ كلّ هذه الوثائق، رغم فضائلها، تشكو من نقص فادح وهو لا مبالاتها بعدد من القضايا الجذريّة في الثورة الصينية. أعتقد أنّ من الضّروري، قبل كلّ شيء، أن ألفت الانتباه إلى هذه النقائص. لذا، ستكون ملاحظاتي ذات طابع نقدي في ذات الوقت ❖

1. طابع الثورة في الصين

لقد قال لينين أنه سيكون للصينيين قريبا عام 1905 الخاص بهم. لقد فهم بعض الرفاق من ذلك أنه سيكون عند الصينيين تكرار مطابق لما حصل عندنا هنا في روسيا عام 1905. أيها الرفاق، إن ذلك خطأ. فلم يقل لينين أبدا أن الثورة الصينية ستكون نسخة مطابقة لثورة 1905 في روسيا. وكل ما قاله هو أن للصينيين عام 1905 الخاص بهم. وهذا يعني أن الثورة الصينية ستكون لها، بالإضافة إلى الخصائص العامة في ثورة 1905 في روسيا، سماتها الخاصة التي ستضع بصمتها الخاصة على الثورة الصينية.

ما هي تلك الخصوصيات؟

الخاصية الأولى هي أنه بينما الثورة الصينية هي ثورة ديمقراطية برجوازية فإنها، في ذات الوقت، ثورة تحرر قومي تتجه ضدّ الهيمنة الإمبريالية الأجنبية في الصين. وفي هذا، على الأخص، تختلف عن ثورة 1905 في روسيا. فالتقطة المهمة هي أن قاعدة الإمبريالية في الصين تظهر لا في قوتها العسكرية فحسب، بل، وعلى نحو أخص، في واقع أن الخيوط الأساسية للصناعة في الصين و سكك الحديد والمطاحن والمصانع والمناجم والبنوك، وغيرها، هي ملك الإمبرياليين الأجانب أو تحت رقابتهم. مما ينتج عنه أن قضايا التضال ضدّ الإمبريالية الأجنبية وأعاونها الصينيين لا يمكنها إلا أن تلعب دورا هامًا في الثورة الصينية. وهذا الواقع يلحق، مباشرة، الثورة الصينية بثورات عمال كلّ البلدان ضدّ الإمبريالية.

الخاصية الثانية في الثورة الصينية هي أن البرجوازية القومية الكبيرة في الصين ضعيفة إلى أقصى حدّ، وأضعف بكثير جدًا مما كانت عليه البرجوازية الروسية عام 1905. وهذا أمر مفهوم. ولما كانت الخيوط الأساسية للصناعة متجمعة بين أيدي

الإمبرياليين الأجانب، لم يكن للبرجوازية القومية الكبيرة إلا أن تكون ضعيفة وفي المؤخرة. وفي هذا الصدد فإنّ ملاحظة ميف على صواب في موضوع ضعف البرجوازية القومية في الصين كأحد الوقائع الخصوصية في الثورة الصينية. لكن، ينتج عن ذلك أنّ دور المبادر والمرشد في الثورة الصينية، ودور القائد للفلاحين الصينيين يجب، حتماً، أن يلتقى على كاهل الطبقة العمالية الصينية وجزبها. وهناك خاصية ثالثة في الثورة الصينية لا يجب التقليل من أهميتها وهي أنّ الثورة الصينية ملاصقة للاتحاد السوفيتي الذي بوجوده وتطوره وبتجربته الثورية وعونه لا يمكنه إلا أن يسهّل نضال الطبقة العمالية الصينية ضدّ الإمبريالية وضدّ بقايا الإقطاع والقرون الوسطى في الصين. تلك هي السمات الخصوصية الأساسية في الثورة الصينية والتي تحدّد طابعها واتّجاهها ❁

2. الإمبريالية والتدخل الإمبريالي في الصين

أول عيوب تلك الأطروحات هو عدم اهتمامها أو انتقادها من أهمية قضية التدخل الإمبريالي في الصين. فإنّ دراسة لتلك الأطروحات يمكنها أن تقودنا إلى الاعتقاد أنّ ليس هنالك، في الوقت الحاضر، أيّ تدخل إمبرياليّ في الصين، وأنّ هنالك فقط صراع بين الشماليين والجنوبيين، أو بين مجموعات من الجزرالات. وأكثر من ذلك، ففيها توجه يوحي بأنّ معنى التدخل هو اعتداء الجيوش الأجنبية على الأرض الصينية، فإن لم تكن الحالة تلك فليس هنالك تدخل. أيها الرفاق، ذلك خطأ كبير. إنّ التدخل أبعد من أن ينحصر في اعتداءات الجيوش. ولا تمثل اعتداءات الجيوش أبداً الخاصية الأساسية في التدخل. ففي الظروف الزاهنة للحركة الثورية في البلدان الرأسمالية، حيث الاعتداء العسكري

الأجنبي المباشر يمكن أن يثير احتجاجات وزاعات، يفترض التدخل أكثر مرونة وأشكالا أكثر تحقيا. وفي الظروف الجارية اليوم تفضل الإمبريالية التدخل في بلد تابع بتنظيم الحرب الأهلية فيه من خلال تمويل القوى الرجعية ضد الثورة، وتقديم عون معنوي ومالي لأعوانها الصينيين ضد الثورة.

لقد اضطرت الإمبرياليون إلى تصوير صراع دينيكين وكولتسناك وورنغل ويودنيتش ضد الثورة في روسيا كصراع داخلي محض. لكننا نعلم جميعا، وليس فقط نحن بل العالم أجمع، أن إمبريالي إنجلترا وأمريكا وفرنسا واليابان كانوا يقفون وراء أولئك الجنرالات الرجعيين الروس الذين لو لا سندهم لكانت حرب أهلية خطيرة أمرا مستحيلا. ويجب أن يقال عن الصين نفس الشيء. فصراع وو بيف-فو وسان شانغ-فانغ وشانغ تسونغ تسولين-شانغ ضد الثورة في الصين كان مستحيلا بكل بساطة لو لا أن أولئك الجنرالات تلقوا العون من إمبريالي جميع البلدان، ولو لا أن هؤلاء الآخرين قدموا لأعوانهم الأسلحة والفتيين و«المستشارين»، الخ. فيما تكمن قوة جيش كانتون؟

في واقع أنه يدفعه مثل أعلى، تدفعه النخوة، خلال التضال من أجل التحرر من الإمبريالية؛ في واقع أنه يحقق تحرر الصين.

فيما تكمن قوة الجنرالات المعادية للثورة في الصين؟ في واقع أنهم مستندون إلى إمبريالي كل البلدان، وإلى مالكي كل سلك الحديد والامتيازات والمطاحن والمصانع والبنوك والمراكز التجارية في الصين.

وبالتالي لا يتعلق الأمر باعتداء الجيوش الأجنبية فقط ولا يمكن أن ينحصر الأمر في ذلك أبدا، كأن يقدم إمبرياليو كل البلدان العون لأعداء الثورة في الصين. إن الاعتداء على أيدي الآخرين هو أصل الاعتداء الإمبريالي الحالي في الصين.

لذا، فإن من لا يبالي بواقع التدخل الإمبريالي في الصين أو ينتقص من أهميته فإما هو لا يبالي بالأمر الرئيسي والأكثر أساسية في الصين أو ينتقص من أهميته.

لقد قيل أنّ الإمبرياليين اليابانيين يظهرون بعض ملامح «التية الطيبة» نحو أهالي كانتون والثورة الصينية بوجه عام. وقيل أنّ الإمبرياليين الأمريكيين ليسوا على ما عليه اليابانيون في هذا الأمر. أيها الرفاق، إنّ ذلك كمن يحدّث نفسه.

يجب أن نعرف كيف نُميّز جوهر السياسة الإمبريالية، بما في ذلك الإمبرياليين الأمريكيين واليابانيين، عن أفعالهم. فكثيراً ما قال لينين أنّ من الصعب أن يأخذ الثوريون بالقوّة، لكن من السهل جدّاً، أحياناً، أن يأخذوا باللين. أيها الرفاق، لا يجب أبداً أن ننسى هذه الحقيقة التي قدّمها لينين. وعلى كلّ حال، من الواضح أنّ الإمبرياليين اليابانيين والأمريكيين قد برهنوا على قيمتها. لذا، من الضروري أن نُميّز، تمييزاً قويمياً، إطرء الإمبرياليين أهالي كانتون عن واقع أنّ الإمبرياليين الذين يظهرون كرماء بإطراءهم هم أنفسهم الذين يتشبّهون بقوّة بقروضهم* وسكك الحديد في الصين، وليس عندهم تية التخلّي عنها مما كان الثمن ❁

3. الجيش الثوري في الصين

تتعلّق ملاحظتي الثانية في الأطروحات المقدّمة بقضية الجيش الثوري الصيني. الحقّ أنّ قضية الجيش غائبة أو منتقص من أهميّتها في الأطروحات، (صوت يهتف: «هذا صحيح»)، وفي ذلك نقيضها الثانية. وغالباً ما أعتبر التقدّم نحو شمال كانتون، لا على أنّه اتّساع الثورة، وإنّما على أنّه نزاع بين الجزلات ووو باي فو وسان شوان-فانغ من جهة وقادة كانتون من جهة ثانية هدفه إزاحة جنرالات ليحلّ محلّهم آخرون. أيها الرفاق، ذلك خطأ كبير. فالجيوش الثوريّة في الصين هي عامل أكثر أهميّة في نضال العمال والفلاحين الصينيين في سبيل التحرّر.

هل كان من المصادفة أنّه إلى حدود أيّار أو حزيران من هذا العام كان يقدر الوضع الصيني على أنّه قاعدة الترجعيّة إثر هزيمة جيوش فان يوهسيانغ، بينما فيما

بعد، في صيف هذا العام، لم يكن لجيش كانتون المظفر إلا أن يتقدّم إلى الشّمال ويحتلّ هوباي فتتغيّر كامل اللوحة، جذريًا، لصالح الثّورة؟

لا. لم يكن ذلك صدفة. إنّ تقدّم كانتون يعني ضربة للإمبريالية، ضربة لأعوانها في الصّين، إنّها يعني حرّية الاجتماع، وحرّية الإضراب، وحرّية الصحافة، وحرّية تنظّم العناصر الشيوعية في كامل الصّين، بوجه عامّ والعمال بوجه خاصّ. وهذا ما يمثّل الميزة والأهمّية القصوى للجيش الثّوري في الصّين.

في ما مضى، في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، تندلع الثّورات، عموماً، بانتفاضة الشعب، في أغلب الأحيان غير مسلّحة أو ضعيفة التسلّح، وتدخل في صدام مع جيش النظام القديم وتحاول الخطّ من معنوياته أو كسب جزء منه إلى جانبه. ذلك هو الشّكل التّموذجي الذي كانت عليه المعامل الثّورية في ما مضى. وذلك ما حدث هنا في روسيا عام 1905. لقد اتّخذت الأمور مجرى مختلفاً في الصّين؛ فقد تصادم جيش الحكومة القديمة لا مع شعب أعزل، بل مع شعب مسلّح في هيئة جيشه الثّوري. تحارب الثّورة المسلّحة في الصّين جيش الثّورة المضادّة. وذلك إحدى الخصائص المميّزة للثّورة الصّينية وأحد فضائلها. وهنا تكمن الأهمّية الخاصّة للجيش الثّوري في الصّين.

لذا، فإنّ الانتقاص من أهمّية الجيش الثّوري هو من النقائص غير المقبولة في الأطروحات.

لكن ما ينتج عن ذلك هو أنّ على الشيوعيين في الصّين أن يولوا العمل في الجيش أهمّية خاصّة.

في المقام الأوّل، يجب على الشيوعيين أن يقوّوا عملهم السياسي في الجيش من جميع التّواحي، وأن يضمنوا أن يصبح الجيش قناة ونموذجاً لأفكار الثّورة الصّينية. وذلك ضروريّ على نحو خاصّ لأنّ مختلف ضروب الجزرالات، الذي ليس بينهم والكيومتانغ من أمر مشترك، يحاولون الالتحاق بحكومة كانتون، من جهة أنّها قوّة يتسلّل إليها أعداء الشعب الصّيني، وإذ يلتحقون بها فإنّهم يحلّون تفسّخ الجيش.

والطريقة الوحيدة لتحديد أولئك «الحلفاء» أو أن نجعل منهم أعضاء في الكيومنتاغ حقيقتين هي أن تقوي العمل السياسي وأن نقيم رقابة ثورية عليهم. فلن يكون الجيش إلا في وضع صعب جدًا إذا لم ينجز ذلك.

في المقام الثاني، يجب على الثوريين الصينيين بما فيهم الشيوعيين أن ينخرطوا في دراسة عميقة لفنّ الحرب. فلا يجب عليهم أن يعتبروها أمرًا ثانويًا، لأنه عامل رئيسي في الثورة الصينية. يجب على الثوريين الصينيين وبالتالي على الشيوعيين أيضًا أن يدرسوا فنّ الحرب حتى يصلوا تدريجيًا إلى الصدارة ويكتسبوا مختلف مراكز القيادة في الجيش الثوري. إنّ ذلك هو ضمانة أن يسير الجيش الثوري الصيني في الطريق القويم، صوب هدفه مباشرة. فلن تكون هناك إلا تأرجحات وترددات في الجيش إذا لم ينجز ذلك ❁

4. طابع الحكومة المقبلة في الصين

تتعلق ملاحظتي الثالثة بواقع أنّ الأطروحات لا تقول شيئًا، أو لا تقول بما فيه الكفاية، عن طابع الحكومة المقبلة الثوري في الصين. يقترب ميف من الموضوع في أطروحته على حسابه. ولما اقترب منه أصبح خائفًا لسبب معين ولم يتجرأ على الانتهاء بالقضية إلى نتائجها. يرى ميف أنّ الحكومة الثورية المقبلة في الصين ستكون حكومة البرجوازية الصغيرة الثورية تحت قيادة الطبقة العاملة. فماذا يعني ذلك؟ في زمن ثورة شباط عام 1917، كان المناشفة والاشتراكيون الثوريون كذلك أحزابا برجوازية وبرجوازية صغيرة ثورية بقدر معين. فهل يعني ذلك أنّ الحكومة الثورية المقبلة في الصين ستكون اشتراكية-ثورية-منشفية؟ لا. لن تكون كذلك. لماذا؟ لأنّ حكومة الاشتراكيون الثوريون والمناشفة هي في الواقع حكومة إمبريالية، في حين لا يمكن للحكومة الثورية المقبلة في الصين أن تكون إلا حكومة معادية

للإمبريالية. والاختلاف هنا رئيسي. لقد كانت حكومة ماك دونالد «عمالية»، لكنّها رغم ذلك حكومة إمبريالية لأنّها تركز على الحفاظ على الهيمنة الإمبريالية البريطانية في الهند ومصر مثلاً. وإذا ما قارنا حكومة ماك دونالد بالحكومة الثورية المقبلة في الصين وجدنا أنّ لهذه الأخيرة الفضل في أنّها حكومة معادية للإمبريالية. فلا يمكن الأمر في طابع حكومة كاتون الديمقراطي البرجوازي التي هي جينين الحكومة الثورية المقبلة لكامل الصين، فحسب، بل أيضاً، وقبل كلّ شيء، في أنّ لا يمكنها أن تكون إلا حكومة معادية للإمبريالية، وأنّ كلّ تقدّم تحرزه هو بمثابة ضربة قويّة لعالم الإمبريالية، وبالتالي، ضربة لصالح الحركة الثورية العالمية.

لقد كان لينين على حقّ عندما قال أنّه في ما مضى، قبل حلول عصر الثورة العالمية، كانت حركة التحرّر الوطني جزءاً من الحركة الديمقراطية العامّة. والآن، بعد انتصار الثورة السوفييتية في روسيا، وحلول عصر الثورة العالمية، أصبحت حركة التحرّر الوطني جزءاً من الثورة العالمية.

لم يأخذ ميف هذه الخاصيّة المميّزة بعين الاعتبار. اعتقد أنّ طابع الحكومة الثورية المقبلة في الصين سيكون، عموماً، مشابهاً لما كنّا تحدّثنا عنه في بلدنا عام 1905، إنّها حكومة بمثابة دكتاتورية العمال والفلاحين الديمقراطية، مع اختلاف يقوم في أنّها ستكون، قبل كلّ شيء، حكومة معادية للإمبريالية.

ستكون حكومة انتقال إلى تطوّر غير رأسمالي، أو بتعبير أصحّ، إلى تطوّر اشتراكي في الصين. ذلك هو الاتجاه الذي يجب أن تسير فيه الثورة في الصين. إنّ هذا الجرى في تطوّر الثورة تسهّله ثلاثة عوامل: أولاً. لما كانت الثورة الصينية ثورة تحرّر وطني فإنّها ستسير ضدّ الإمبريالية وأعوانها في الصين؛ ثانياً. لما كانت البرجوازية الوطنية الكبيرة الصينية ضعيفة، وأضعف ممّا كانت عليه البرجوازية الوطنية الروسية في فترة 1905، فإنّ ذلك يسهّل هيمنة الطبقة العمالية وقيادة الحزب للفلاحين؛ ثالثاً. أنّ الثورة في الصين ستتطوّر في ظروف تمكّنها من استغلال

تجربة وعون الثورة المظفرة في الاتحاد السوفيتي. إن بلوغ هذا المجرى التجاح التام والمؤكد ستحدده عوامل عديدة.

لكن الأمر الواضح هو أنّ التضال في سبيل هذا الطريق للثورة الصينية، على وجه التحديد، هو مهمة الشيوعيين الصينيين الأساسية.

ومن هنا تبرز مهمة الشيوعيين الصينيين فيما يتعلق بموقفهم من الكيومينتانغ والحكومة الثورية المقبلة في الصين. لقد قيل أنّ على الشيوعيين الصينيين أن ينسحبوا من الكيومينتانغ. أمّا الرفاق سيكون ذلك خطأ. سيكون انسحاب الشيوعيين الصينيين من الكيومينتانغ في الوقت الراهن خطأ كبيرا. فكامل مجرى الثورة الصينية وطابعها وآفاقها، تدعم، دون شك، بقاء الشيوعيين الصينيين في الكيومينتانغ وتقوية عملهم فيه.

لكن هل يمكن للحزب الشيوعي الصيني أن يشارك في الحكومة الثورية المقبلة؟ لا فقط يستطيع ذلك فحسب، بل يجب عليه ذلك. فمجرى الثورة الصينية وطابعها وآفاقها تدعم مشاركة الحزب الشيوعي الصيني في الحكومة الثورية المقبلة في الصين. إنّ في ذلك تكمن إحدى الضمانات الجوهرية لخلق فعلي لهيمنة الطبقة العاملة الصينية ❖

5. القضية الفلاحية في الصين

تتعلق ملاحظتي الرابعة بالقضية الفلاحية في الصين. يعتقد ميف أنّ من الواجب الشروع مباشرة في تطبيق شعار تأليف السوفيات ومن ذلك سوفيات الفلاحين في الريف الصيني. أرى أنّ ميف يسير كثيرا جدا إلى الأمام. لا يمكننا أن نألف سوفيات في الريف متجنبين ذلك في المراكز الصناعية في الصين. لكنّ تأليف سوفيات في المراكز الصناعية في الصين ليس شعارا مباشرا

في الوقت الحاضر. ويجب أن لا يغيب عن الذهن أنه لا يمكن تقدير السوفيينات خارج الوضع الذي يحيطها. فلا يمكن تنظيم السوفيينات، والحالة هنا سوفيينات الفلاحين، فإذا لم تكن الصين في مرحلة أوج حركة فلاحية تحطم نظام الأمور القديم وتبني سلطة جديدة، آخذين في الحسبان أن المراكز الصناعية في الصين كانت قد تجرت الحاجز ودخلت مرحلة تركيز سلطة السوفيينات.

هل يمكننا القول أن الفلاحين الصينيين والثورة الصينية عموماً قد دخلوا، بعد، هذه المرحلة؟ كلا، لا يمكننا ذلك. فالحديث عن السوفيينات الآن إما هو جري إلى بعيد جداً، في حين أن القضية التي يجب طرحها اليوم ليست السوفيينات بل تأليف لجان الفلاحين.

إن الصورة التي أراها هي لجان فلاحية ينتخبها الفلاحون، قادرة على صياغة مطالب الفلاحين الأساسية، وتتخذ كل الإجراءات لضمان تحقيق تلك المطالب بطريقة ثورية. ويجب أن تكون هذه اللجان بمثابة محور تطوّر الثورة في الريف.

أعلم أن هنالك أعضاء من الكيومينتانغ وحتى شيوعيين لا يرون أن من الممكن اندلاع الثورة في الأرياف لأنهم يخشون أنه إذا ما انخرط الفلاحون في الثورة فإنهم سوف يجعلون وحدة الجبهة المعادية للإمبريالية تضطرب. أيها الرفاق، هذا خطأ كبير. فكلما كان انخراط الفلاحين الصينيين في الثورة أسرع وأوسع، كانت الجبهة المعادية للإمبريالية في الصين أصلب وأقوى. إن مؤلفي الأطروحات، وخاصة تانغ بينغ-شان، على صواب تام عندما ساندوا فكرة أن تلبية فورية لعدد معين من المطالب الأكثر إلحاحاً عند الفلاحين هي شرط جوهري لانتصار الثورة في الصين. وأعتقد أن الوقت قد حان لكسر هذا الجمود و«الحياذ» نحو الفلاحين الذي نلاحظه عند في عمل بعض عناصر الكيومينتانغ. أعتقد أنه يجب على كل من الحزب الشيوعي الصيني والكيومينتانغ، وبالتالي حكومة كانتون، الانتقال من الأقوال إلى الأفعال دون تأخر، وأن يطرحا قضية تلبية مطالب الفلاحين الأكثر حيوية.

ما يمكن أن يكون لذلك من آفاق ومدى فذلك سيحدده مجرى الثورة. وأعتقد أنه يجب المضي في القضايا بعيدة المدى إلى أبعد من تأميم الأرض. وفي جميع الأحوال، لا يجب أن نتخلى عن شعار مثل شعار تأميم الأرض. ما هي الطرق والوسائل التي يجب على الثوريين الصينيين أن يتخذوها لإنهاض جماهير الفلاحين الصينيين الواسعة للثورة.

أعتقد أنه يمكننا أن نتحدث عن ثلاث طرق في الظروف المعينة. الطريقة الأولى هي تأليف اللجان الفلاحية ومن داخلها يقوم الثوريون الصينيون بالتأثير في الفلاحين. (صوت يهتف: «ماذا عن الجمعيات الفلاحية؟»). أعتقد أن الجمعيات الفلاحية ستجتمع حول اللجان الفلاحية أو تتحول إلى لجان فلاحية تتمتع بكل التدابير الحكومية الضرورية لتحقيق المطالب الفلاحية. لقد تحدثت عن هذه الطريقة. لكنها طريقة غير كافية. فمن السداجة أن يذهب في اعتقادنا أنه يوجد في الصين ما يكفي من الثوريين لهذه المهمة. إن في الصين قرابة 400 مليون ساكن، منهم قرابة 350 مليون صيني أكثر من تسعة أعشارهم فلاحون. فإن أي شخص يعتقد أن بضعة عشرات الآلاف من الثوريين الصينيين يمكنهم أن يشملوا هذا المحيط من الفلاحين إنما هو مخطئ. وبالتالي فإن وسائل إضافية إنما هي ضرورية.

الطريقة الثانية هي التأثير في الفلاحين من خلال الحكومة الشعبية الثورية الجديدة. فما لا شك فيه أنه ستتركز في الأقاليم التي ستحرر حكومة جديدة، حكومة من طراز حكومة كانتون. ومما لا شك فيه أنه يجب على تلك الحكومة وجمهازا التركيز على موضوع تلبية مطالب الفلاحين الأكثر إلحاحا إذا ما أرادت حقاً أن تتقدم الثورة. لذا، فإن مهمة الشيوعيين والثوريين عموما هي أن يخرطوا في جمهاز الحكومة الجديدة حتى تكون تلك الحكومة قريبة من جماهير الفلاحين ومن خلالها يساعدوا الفلاحين على ضمان تلبية مطالبهم الملحة إما بانتزاع أراضي المالكين العقاريين أو تقليص الجباية والريع حسب الظروف.

الطريقة الثالثة هي التأثير في الفلاحين من خلال الجيش الثوري. لقد كت تحدّث عن أهمية الجيش الثوري الكبيرة في الثورة الصينية. فالجيش الثوري هو أول قوة ستدخل الأقاليم الجديدة، وسيتمّ، أولاً، بمناطق فلاحية كثيفة السكان، وبالتالي سيتمّ بكلّ ما يكون نظرة الفلاح للحكومة الجديدة وما لها سمات جيّدة أو سيّئة. فالأمر يتوقّف، أساساً، على سلوك الجيش الثوري، وموقفه من الفلاحين ومن المالكين العقاريّين، وقدرته على مساعدة الفلاحين؛ وعلى ما سيكون عليه موقف الفلاحين من الحكومة الجديدة الكيومنتانغ، ومن الثورة الصينية عموماً. فإن لم ننس أنّ هناك عدداً لا بأس به من العناصر المتشكّكة التحقت بالجيش الثوري في الصين والتي يمكنها أن تغيّر لون الجيش نحو الأسوأ، فسيكون معلوماً أنّ أهمية اللون السياسي للجيش الثوري في الصين وسياسته الفلاحية كبيرتان في عيون الفلاحين.

لذا، يجب على الشيوعيين الصينيين والثوريّين الصينيين عموماً أن يتخذوا كلّ التدابير ليجعلوا العناصر المعادية للفلاحين داخل الجيش في موضع حياد حتّى يحافظوا على الروح الثورية عند الجيش، وحتّى يضمنوا أن يساعد الجيش الفلاحين ويهضهم للثورة.

قيل لنا أنّ الجيش الثوري مرحّب به في الصين، لكن فيما بعد، عندما يحطّ رحاله تكون هنالك خيبة عامّة. إنّه نفس الأمر الذي حدث عندنا هنا في الاتحاد السوفييتي أثناء الحرب الأهلية. وتفسيرها هو أنّه عندما يجرّ الجيش أقاليم جديدة ويحطّ رحاله فيها، يصبح هنالك، بمعنى معيّن، آخرين يقتاتون على حساب السكان المحليّين. وقد استطعنا نحن الثوريّين السوفييتيين، بوجه عام، أن نرتجح كفة تلك المساويّ ببذل الجهد بواسطة الجيش لمساعدة الفلاحين ضدّ المالكين العقاريّين. فيجب على الثوريّين الصينيين أيضاً أن يعرفوا كيف يرتجحوا كفة تلك المساويّ بوضع سياسة فلاحية صحيحة للجيش ❁

6. الطبقة العالّية وهيمتها في الصّين

تتعلّق ملاحظتي الخامسة بالطبقة العالّية الصّينيّة. أعتقد أنّ الأطروحات لم تؤكّد، بما فيه الكفاية، على دور الطبقة العالّية في الصّين وأهمّيتها. إنّ السّؤال الذي يطرحه رافس أيّ جهة يجب على الشيوعيين الصّينيين أنفسهم أن يتّجهوا إليها أيّ يسار الكيومنتانغ أم وسطه؟ هو سؤال غريب. إذ أعتقد أنّ على الشيوعيين الصّينيين أن يتّجهوا إلى الطبقة العالّية قبل كلّ شيء، وأن يدفعوا قادة حركة التحرّر الصّيني نحو الثّورة. فتلك هي الطريقة الصّحيحة لطرح القضية. أعلم أنّ هناك من بين الشيوعيين الصّينيين رفاقا لا يقبلون إضرابات العمال لتحسين ظروفهم المادّية ووضعهم القانوني، ويمنعون العمال عن القيام بالإضراب. (صوت يهتف: «حدث ذلك في كانتون وشنغهاي»). أيّها الرّفاق، ذلك خطأ كبير.

إنّ ذلك استنفاص خطير من دور الطبقة العالّية الصّينيّة وأهمّيتها. ويجب أن نعتبر ما في الأطروحات من ذلك القبيل بمثابة الأمر المدان بصرامة. وسيكون خطأ كبيرا إذا لم يستغلّ الشيوعيون الصّينيون الوضع الحالي الملائم ليساعدوا العمال على تحسين أوضاعهم المادّية والقانونيّة حتّى بالإضراب. إذن، لم تصلح الثّورة إن لم تكن لذلك؟ لا يمكن للطبقة العالّية أن تكون قوّة عظيمة إذا كان أبنائها يعاقبهم ويعذبهم أعوان الإمبرياليّة أثناء الإضرابات. ويجب أن يتوقّف إذلال القرون الوسطى ممّا كان الثّمّن حتّى يقوى شعور القوّة والكرامة عند العمال الصّينيين وحتّى يصبحوا قادرين على قيادة الحركة الثّوريّة. وبدون هذا لا يمكن تصوّر انتصار الثّورة في الصّين. وبالتالي يجب أن تأخذ مطالب الطبقة العالّية الصّينيّة، الاقتصاديّة والقانونيّة، التي تهدف إلى تحسين ظروفها تحسينا ملموسا، حيّزا خاصّا في الأطروحات. (ميف: «ذلك المذكور في الأطروحات»). نعم. ذلك المذكور في الأطروحات، لكن للأسف، هذه المطالب نالت حيّزا غير كاف ❁

7. قضية الشباب في الصين

تتعلق ملاحظتي السادسة بقضية الشباب في الصين. إنه لمن الغريب أن لا تأخذ هذه القضية بعين الاعتبار في الأطروحات، رغم أنّ لها الآن أكبر أهمية في الصين. لقد تناول تقارير تانغ بانغ-شان* هذه القضية، لكنه للأسف، لا يوليها الأهمية الكافية. إنّ لقضية الشباب اليوم في الصين الأهمية الأولية. الشباب الطلابي (الطلبة الثوريون)، والشباب العمالي، والشباب الفلاحي – كلّها تكون قوّة يمكنها أن تتقدّم بالثورة بخطى عملاقة إذا ما انسأقت لتأثير الكيومنتاغ الإيديولوجي والسياسي. فيجب أن لا يغيب عن الذهن أنّ ما من أحد يعاني من الاضطهاد الإمبريالي بأكثر عمق واتساعاً، وما من أحد يملك وعياً حاداً وألياً للتضال ضدّه مما للشباب الصيني. فيجب على الحزب الشيوعي الصيني والثوريين الصينيين أن يأخذوا هذه التاحية بكامل عين الاعتبار، وأن يقوّوا عملهم بين الشباب إلى أقصى حدّ. يجب أن تكون للشباب منزلته في الأطروحات المتعلقة بالقضية الصينية ❁

8. بعض الاستنتاجات

أريد أن أتحدّث في بعض الاستنتاجات في ما يتعلّق بالتضال ضدّ الإمبريالية في الصين، وفي ما يخصّ المسألة الفلاحية. فمّا لا شكّ فيه أنّ الحزب الشيوعي الصيني لا يمكنه اليوم أن يقتصر على المطالبة بإسقاط الائتفاقيات الجائرة. فذلك مطلب يؤكّده اليوم واقع الثورة المضادّة وعلى رأسها شانغ هساي-ليانغ. ومن البديهي أن يذهب الحزب الشيوعي الصيني إلى أبعد من ذلك.

فمن الضروري، من جملة أمور أخرى، أن يَأتم سلك الحديد. ذلك ضروري، ويجب أن ينجز. ومن الضروري، من جملة أمور أخرى، أن يكون في البال أفق تأمين أكبر المعامل والمصانع. وفي هذا السياق، يتصدّر تأمين تلك المؤسسات التي يناصرها مالكوها عداء صريحاً وعنيفاً للشعب الصيني. كما من الضروري أن تعطى أولوية للقضية الفلاحية في صلة بأفاق الثورة في الصين. فما أعتقد أنه من الواجب القيام به على المدى البعيد هو حجز أراضي المالكين العقاريين لصالح الفلاحين وتأمين الأرض. وما بقي سيكون بديهياً.

أيها الرفاق، تلك هي الملاحظات التي أردت تقديمها ❁

نشرة 2012